كوبا

المؤتمر الاول للحزب الشيوعي الكوبي امام سياسة الثورة الخارجية

التحدّي الكوبي الجديد

بقلم برنار كاسن

تشي غيفارا : ذكرى السلوك الاممي

« نحن لا نقف مكتوفي الايدي عندما نرى شعبا افريقيا ، شعبا شقيقا يتعرض لهجوم وحشي من جنوب افريقيا ، لا نقف وا[illegible] مدموغة الايدي .. نحن نساعد انغولا وسنواصل مساعدتنا لانغولا .» وقبل ان يمضي جزء من ثانية وقبل أن يجد احد الوقت لاطلاق عاصفة التصفيق ، كان المندوبون الثلاثة الاف الى المؤتمر الاول للحزب الشيوعي الكوبي ، يقفون من تلقاء انفسهم ويجن جنون اكفهم وهم يهتفون : «أنغولا ، أنغولا ، أنغولا .»

■ في خطاب الختام يوم الثاني والعشرين من كانون الاول — ديسمبر كان فيديل كاسترو يؤكد للمرة الاولى ، بلا أي التباس ، ما كان الجميع يعرفونه . وأنفلت اخيرا ، حينما لفظت كلمة « انغولا » ذاك الانفعال الحاد الذي كان الجميع يجهدون في ضبطه . وكانت قد اتيحت له فرصة التعبير عن نفسه، قبل ذلك بخمسة ايام، في مسرح كارل ماركس حينما ذكر فيديل كاسترو بكلمات عامة ، خلال تقريره المركزي الذي استمر القاؤه احد عشر ساعة ، «واجبات الكوبيين الاممية» التي قام بها هؤلاء ويواصلون القيام بها (وقد ترجم الجميع هذه الجملة الى كلمة «انغولا») . ورغم أن الامين الاول اعلن انه سوف يعالج « موضوعا من مواضيع السياسة بهدوء وبلا عصبية » فانه كرس للتضامن مع انغولا اكثر من ثلث حديثه الى حد جعل بعض المراقبين الاجانب يرون في عدم التوازن هذا خروجا على الحد وينسبونه الى جموح الخطيب . بعد ذلك بثلاث ساعات ، اي بعد مهلة للتفكير كان فيديل كاسترو يقف أمام مليون شخص تجمعوا على ساحة الثورة ليعود ، بمزيد من الاسهاب والقوة، الى الموضوع نفسه، وقد استفزت حماسه هتافات الجماهير : « تقدم يا فيديل واضرب اليانكي..»

كان لا بد من ادراك أمر بديهي : وهو ان الكفاح في سبيل انغولا قد صار علنا هو «الحدود الجديدة» للثورة الكوبية . وقد أكد فيديل كاسترو ، في سياق الكلام ، ان بلاده ارسلت معونة عسكرية ، من رجال وعتاد ،

فيديل كاسترو : الاقوال والافعال

الى بعض الدول الاخرى :«ليس سرا ان رجالنا ذهبوا الى سوريا ، في وقت ما ، حينما كانت الجمهورية السورية معرضة لخطر كبير ، (وتفيد مصادر امريكية واسرائيلية ان الافا من هؤلاء مازالوا هناك يقفون الى جانب السوريين ، على خط النار الاول ، في مواجهة الجولان) . ثم أتى على ذكر حالة الجزائر بألفاظ مماثلة . وذكر ايضا اسماء عدد اخر من البلدان في

جيش كوبا : النضال الاممي ضرورة داخلية ..

صياغة اقل وضوحا ، الا انها لا تدع مجالا لاي شك : الكونغو، غينيا، غينيا بيساو ، الصومال ، اليمن الجنوبية .. وفي الاحاديث الخاصة كان بعض المسؤولين يضيفون عمان الى القائمة ، مع العلم ان وفدا من الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي كان يحضر المؤتمر . وكان فيديل كاسترو قد أعلن ، قبل ذلك بلحظات ، متوخيا ابراز الرمز ، انتخاب بدرو رودريغيز بيرالتا لعضوية اللجنة المركزية ، وكان هذا الاخير قد قاتل في صفوف « الحزب الافريقي لاستقلال غينيا والرأس الاخضر » داخل غينيا بيساو ، وامضى ، بعد وقوعه في الاسر ، عدة سنوات بين جدران السجون البرتغالية .

انغولا على جدران هافانا

هكذا اصبح لانغولا الحق (بعد أن كان حديثها ملء الافواه . في الشارع ، رغم الصمت الرسمي الذي استمر حتى المؤتمر) في البروز على جدران هافانا ، واصبحت تستحث التزاما لا يقل وضوحا عن الالتزام القديم بقضية «فيتنام البطلة»*. وذلك ما يشير اليه القرار حول السياسة الدولية : « ان الشيوعيين الكوبيين الذين ينطقون بصوت شعبهم ويستلهمون المثل الاممي الذي ضربه تشي غيفارا يؤكدون الوعد الذي قطعه فيديل كاسترو لفيتنام ويقولون انهم على استعداد ليفدوا بدمائهم حرية انغولا . ».

وتعود كلمة «أممية» آليا في جميع الاحاديث . وهي ليست لفظة مجردة في أفواه القادة الكوبيين ، كما قال لنا لوشيولارا ، عضو المكتب السياسي في الحركة الشعبية لتحرير انغولا ، بل ان لها مضمونا ملموسا : «في كل مرة اتخذت فيها كوبا موقفا امام عدوان ، كان موقفها دعما ملموسا وبلا تحفظ . » ويشير هذا القائد الانغولي الى الاختراق الذي قامت به ، في جنوبي بلاده، كتيبة مدرعة قوية من جنوب افريقيا ومرتزقة برتغاليون تدربوا في ناميبيا يقدر عددهم بألفين ، فيعبر عن دهشة رفاقه لتغير طبيعة الحرب : « لم تعد المسألة مسألة جماعات مسلحة، بل مسألة جيش . وقبل ذلك كان لدينا مدربون كوبيون .. أما بعد التقدم الافريقي الجنوبي فقد استلزم الامر توجيه نداء عاجل للحصول على عتاد اقوى . » ويبدي هذا القائد من الحركة الشعبية بعض التحفظ ، فلا يتحدث عن الجنود .

ويعيدون في هافانا الى الاذهان ان العلاقات بين الحركة الشعبية و كوبا لا ترقى الى يومين . فهي قد بدأت مع بدايات الكفاح المسلح عام ١٩٦١ . وأتم العديد من الكوادر الانغولية دراستهم في كوبا ، الامر الذي أنشأ صلات انسانية ، لها أهميتها كما في كل بلد أمريكي لاتيني . واذا كانت معونة هافانا المادية والبشرية لم تغب يوما عن الحركة الشعبية، فان اتساعها كان

---

* غير ان الفيتناميين لم يقبلوا ، في اي وقت ، معونة المقاتلين الاجانب .

■ كاسترو : اذا كان الامبرياليون يريدون ان يفهموا لماذا نساعد انغولا ، فليقرأوا كت

يواكب الحاجات . وأدى التصعيد الافريقى الجنوبي وصرخة النجدة التي اطلقتها الحركة الشعبية الى ابلاغها . مؤخرا . مستوى عاليا جدا من الالتزام . وتختلف الارقام بين ألفين وستة الاف رجل . حسب المصادر . اضافة الى العتاد الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي . والاكيد ان هذه النجدة قوامها نخبة من القوات ومن المختصين يتجندون تطوعا وينتمون . على وجه التعميم . الى الحزب الشيوعي والى الشبيبة الشيوعية . (انتخب من بينهم نحو عشرة على الاقل لعضوية المؤتمر وبقيت قواعدهم فارغة) . وكانت فعاليتهم في الميدان حاسمة اذ نجحوا . على الجبهة الوسطى . في وقف «الكتيبة البيضاء» الافريقية الجنوبية . ولم يكن حضورهم غريبا عن الهزيمة القاسية التي لحقت بقوات الجبهة الوطنية في كابندا . حين دخلت الجبهة في معركة واحدة . اكثر من مائة رجل . قال لنا لوشيو دا كرا « اننا تولينا دفنهم بأنفسنا . هكذا فان استقرار الوضع العسكري لقوات الجيش الشعبي لتحرير انغولا ثم تحسنه — مع ما يتيحه ذلك لحكومة لواندا من نتائج دبلوماسية ايجابية — يعبران . الى حد كبير . ثمرة

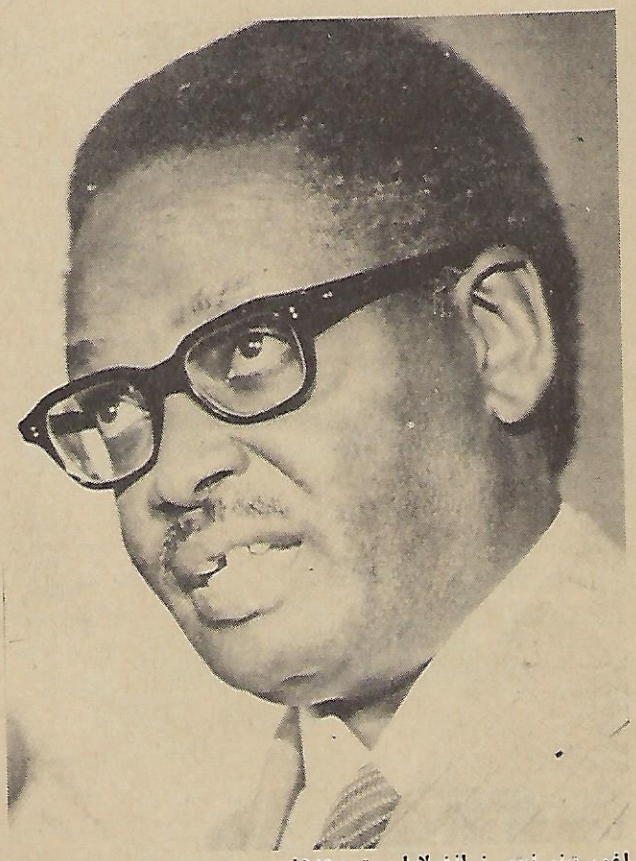

اغوستينو نيتو : انغولا لست وحدها

المعونة الكوبية . » .

أحد محركات الثورة

هذه النجاحات الكبيرة التي وافقت انعقاد المؤتمر الاول . تفسر تفسيرا واسعا اختيار فيديل كاسترو للحظة التي أعلن فيها . بصوت عال . ما كان الجميع يرددونه همسا . لكن ما يبدو أقل وضوحا هو « علة » هذه المعونة التي باتت اليوم كثيفة وباتت تظهر على انها تحد كوبي جديد . وقد قدم الامين الاول على ذلك اجابة حاسمة : « يتساءل بعض الامبرياليين لماذا نساعد الانغوليين . وما هي المصالح التي لنا هناك . وهم قد تعودوا على الاعتقاد بأن أي بلد حينما يقوم بعمل ما . فهو يقوم به للحصول على النفط او على النحاس او على الماس أو على ثروات طبيعية اخرى . كلا ! . . نحن لا نبحث عن أية مصلحة مادية . . واذا كان الامبرياليون يريدون ان يفهموا لماذا نساعد انغولا فليقرأوا كتابا في الاممية البروليتارية ! » وهذا ايضا جواب على اقوال اولئك الذين يتهمون الاتحاد السوفياتي باستعمال الكوبيين في انغولا طعما لنيران مصالحه الذاتية . فمن البديهي . في الواقع . ان الاممية والنضال المعادي للامبريالية هما عنصران جوهريان ومحرك اساسي للثورة الكوبية . وثمة علاقة جدلية بين التصدي لمختلف اشكال العدوان الذي تشنه الولايات المتحدة على الثورة والجهود التي تبذلها هذه الثورة في سبيل التجسم واستباق الاحداث والانصهار في المؤسسات . هذه العلاقة تتأكد خاصة في اللغة العسكرية التي تسود مجمل النشاط السياسي والاقتصادي والايديولوجي . وفي التذكر المستمر لـ « تشي » ولكاميلو شينفوبيغوس ولابطال ثوريين اخرين ، بغية التشديد على قيمة «البطولة اليومية» في العمل . اذن فان النضالية الاممية تستجيب . قبل كل شيء ، لضرورة داخلية من ضرورات الثورة .

وبديهي ايضا ان ثمة لقاء بين هذه الضرورة الداخلية . في حالة انغولا وبين المصالح السياسية والاستراتيجية للاتحاد السوفياتي (الذي نعلم كونا دعمها لسياسته الخارجية في كل قول يتفوه به قادتها تقريبا .) واذا كان الكوبيون من جهة اخرى . يصلون بالتزامهم الى هذا الحد . فذلك لانهم يرون في انغولا حالة حاسمة ومفتاحا للتطور الافريقي خلال السنوات المقبلة . وهم يستعيدون «نظرية الدومينو» مقلوبة . فيعلنون دون صعوبة انه اذا سقطت انغولا فسيأتي قريبا دور موزامبيق والكونغو وغينيا ومن ثم افريقيا التقدميه كلها . وانتقال افريقيا الجنوبية الى الهجوم ، بعد أن كانت حتى الان في موقف الدفاع . قد أدهشهم ثم أثار سخطهم . ولا يجد القادة أية صعوبة في تعبئة الجماهير ضد الامبريالية أينما وجدت .

...ساباً في الاممية البروليتارية !

هورد وكيسنجر : لسبق بورتوريكو بائمة ! ..

واذا كانت هذه الجماهير لا تقاتل «اليانكيين» مباشرة . فهي مستعدة لمواجهة افريقيا الجنوبية التي يثير موقفها العنصري مقتا خاصا في بلدليس اميركيا لاتينيا فحسب بل هو ايضا — حسب عبارة لفيديل كاسترو — افريقي لاتيني .

والاسلوب نفسه ، مع مراعاة النسب ، هو الذي يسود سلوك كوبا حيال بورتوريكو . فالمؤتمر الدولي الاول للتضامن مع استقلال بورتوريكو الذي انعقد في هافانا بين الخامس والسابع من ايلول — سبتمبر الماضي ، قد اعطى مشكلة «الدولة الحرة الشريكة» صدى خارجيا ازعج كثيرا فورد وكيسنجر . في هذه الحالة بالذات كان الدعم السوفياتي لكوبا ، رغم ما قيل من كلام التأييد في المناسبات ، متحفظا جدا وربما غير مؤكد . فالدخول السوفياتي الى هذه « الغابة الاميركية المحروسة» أمر غير متفق اطلاقا مع سياسة الانفراج ، كما استقرت بين واشنطن وموسكو . ولا يجد الكوبيون حرجا من ذلك بل يكثرون من بوادر التضامن مع هذه الجزيرة التي تربطهم بها علاقات تاريخية عديدة ترقى الى عهد النضال ضد الاستعمار الاسباني . فبورتوريكو ، في عين قادة الثورة ، مسألة مبدأ لا تخضع لتفاوض ثنائي مع الولايات المتحدة : « لن نتخلى ابدا عن اخوتنا البورتوريكيين ، ولو كان علينا ان نبقى بلا علاقات مع الولايات المتحدة خلال مائة سنة . » .

دعم مطالبة باناما بمنطقة القناة

كذلك فان دعم مطالبة باناما بمنطقة القناة هو على هذا القدر نفسه من الشمول . تؤكد ذلك زيارة الجنرال توريخوس الى هافانا في منتصف كانون الثاني — يناير . (على ان بعض الادلة تشير الى ان رئيس الحكومة البانامية يطلب دعما اقل علنية من الدعم المقدم الى انغولا أو الى بورتوريكو . ولعله يريد بذلك ان لا يستثير مزيدا من التصلب في وزارة الخارجية الامريكية وفي البنتاغون والكونغرس) . في اطار هذه السياسة الاممية المبدئية ، وهي الوجه الخارجي لمسيرة الثورة الكوبية ، نستطيع ان نفهم مشكلة العلاقات مع واشنطن التي يرى فيها الكوبيون جانبا من جوانب سياستهم تلك . ففي هافانا ، لا يمكن في اي وقت ان تعزل مسألة العلاقات مع الولايات المتحدة عن الجوانب الاخرى من السياسة الخارجية ، رغم ما يتيحه التقارب لكوبا من فوائد اقتصادية واضحة . ونمط التفكير الذي يرى العكس — وهو شائع في اوروبا وفي الولايات المتحدة — ينم عن جهل كبير بدوافع النظام الكوبي . وهو يفسر ايضا ما تسببه هذه السياسة من مفاجآت وسوء فهم .

وقد استطاعت كوبا أن تكسب وزنا هاما ، في دائرة تأثيرها الطبيعية ، دون ان تتخلى عن مواقفها . وهي اذا كانت قد عدلت هذه المواقف في ما يتصل بـ « تصدير الثورة » خلال الستينات لم تفعل ذلك نتيجة لضغوط خارجية ، بل نتيجة تحليلها لهزيمة وقعت في الميدان . ولم يكن رفع الحظر من جانب منظمة الدول الاميركية ، في اجتماع سان خوسيه في تموز — يوليو ١٩٧٥ ، سوى تجسيد لوزن كوبا الجديد . فقد انعقدت صلات وثيقة مع الجزر الكاريبية الناطقة بالانكليزية ومع قادتها ، خاصة مانلي (في جمايكا) ووليامس (في ترينتي وتوباغو) وبورنهام (في غيانا) . ثم ان زيارة الرئيس اتشيفيريا الاخيرة قد نشطت مرة اخرى تعاون كوبا والمكسيك . ثم ان زيارات عدد من الشخصيات الفنزويلية (بينها ابنة الرئيس كارلوس اندرس بيريس) اتاحت اعادة علاقات دبلوماسية لا تفتقر الى الحرارة بين هافانا وكاراكاس . هكذا يقيم العمران الرئيسيان للنظام الاقتصادي الامريكي — ومعهما البيرو — علاقات ممتازة مع البلد الذي جرى وضعه في ما مضى على هامش أميركا اللاتينية .

في الوقت نفسه وثقت كوبا علاقاتها التجارية مع اوروبا واليابان وبدأت حوارا ايديولوجيا مع الحزبين الاشتراكيين الفرنسي والسويدي حينما زارهما كل من ميتران وبالم .

أما حضور الكوبيين العسكري ، خارج بلادهم (عندما تستدعيهم حركات تحرر وطني او حكومات تقدمية) فهو يثبت ان الاعتبارات الايديولوجية تغلب ، في نظرهم ، على مصالح الدولة المباشرة . وقد ظهر ذلك سابقا في دعمهم لجبهة التحرير الوطني الجزائرية ، حينما كانت مصلحتهم تقضي عليهم بمراعاة فرنسا لفك الحصار المضروب من حولهم . وظهر ذلك ايضا في وقوفهم الى جانب الجزائر مؤخرا ، بينما يعتبر المغرب اكبر مستورد للسكر الكوبي في افريقيا . هذه الفرادة التي تسم سياسة خارجية تستجيب فيها الافعال للاقوال ، وتختلف بالتالي عن القواعد المتبعة في العلاقات الدولية ، هي ايضا جانب من جوانب التحدي الكوبي الجديد .

عن « لوموند ديبلوماتيك » ■